وحين تمر امرأة تمسك بيدها طفلا كانت « تبدو حادة ، متماسكة ، صلبة بحزنها ، ودموعها تسح على وجنتيها وكأنها ليست لها ، ودون ان تعيرنا اي انتباه ، كأم لبؤه لا تريد الانكسار امامنا » يخجل البطل ويخفض عينيه الى ان تنضم هي الاخرى الى قافلة المحملين بالشاحنات ٠

فينظر البطل « الانا » الى قائده موشي ، وهو لا يزال فريسة « الانا » الداخلي ، الرافض لكل مايجري ، ولكنه لا يستطيع الخروج عن التيار الجارف ، فيسأله موشي :

ـ « لماذا تنظر الي هكذا » ؟

فيجيبه بصوت مخنوق وكأنه صوت « الانا » الداخلي عنده :

ـ « هذه حرب قذرة » ؟

ـ « دخيلك ، ماذا تريد اذن ؟ فلتسمع ما أقوله لك ، لخربة ما اسمها هذه ، سيأتي قادمون جدد ، هل تسمع ، ويأخذون هذه الارض ويفلحونها ، وسيكون هنا مكان جميل »٠

يشعر البطل انه على حافة هاوية ، ولكنه يسيطر على نفسه و « كل ما في داخلي كان يصرخ : مستوطنون بالقوة ٠ صرخت مشاعري ، كذب ، صرخت مشاعري خربة خزعة ليست لنا ٠ ولم يمنحنا الشباندار (سجن مجرمي الحرب في برلين الغربية) اي حق ٠٠»

اراد ان يفعل شيئا ما « عرفت انني لا استطيع ان اصرخ ٠ لماذا بحق جهنم ، انني المتأثر الوحيد هنا ٠ لقد تورطت هذه المرة ٠ ثمة شيء متمرد في مكان ما في داخلي ، يفجر كل شيء ٠ لمن اتكلم ومن يسمعني ؟٠٠ »

قال للقائد موشي وهو يحاول السيطرة على صوته كي لا يرتجف :

ـ « موشي ٠٠ ليس لنا اي حق في اخراجهم من هنا » ، الا انه كان يعرف انه لن ينتج عن ذلك شيء ، وان ما قاله كان موجها الى « الانا » الداخلي العاجز عنده وليس لقائده

الشاحنة الاولى تحركت تصعد الطريق الترابي الكبير ، وتمنى في داخله لو يستطيع الذهاب اليهم واحدا واحدا ويهمس « عودوا الليلة ، فنحن ذاهبون وستظل القرية خالية »، الا انه لم يفعل واستسلم للتيار ٠ والشاحنة الثانية المحملة بالنساء ، تحركت هي الاخرى ، بينما راحت الشاحنة الثالثة تهدر ٠

ومن ثم ، « كان السهل هادئا ، وفي الطريق الترابي من بعيد ، وبالقرب مما كان يبدو كعاصفة ، كانت الشاحنة الثالثة تبتعد وتتلاشى ، تسود شيئا فشيئا ، وتتأرجح ، ككل الشاحنات الثقيلة المحملة بالفواكه او المحاصيل او شيء ما » ٠

وفي النهاية ،

يؤكد الكاتب يزهار ، وكأنه احد انبياء الخراب القدامى ، المقارنة بين نهاية خربة خزعة الحاضرة وبين الاحداث التي سبقت نهاية سدوم الخاطئة اذ « حين يطبق الصمت على كل شيء ، ولا يهتك الصمت احد ، وتضج الارض بهدوء ما خلف الصمت ، سيخرج الله عندها وينزل الى السهل ليتجول ويرى كيف كانت صرخته » ٠

توفيق فياض